

The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
EISSN: 2959-4820
Volume 2, Issue 1, January - March 2024, Page No: 209-219
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2023: 3.733 | 0.63 :2023 (AIF) معامل التأثير العربي | ISI 2023: 0.383

موقف الدّرُوز من الآخر

صالح غضباني*
قسم أصول الدين، المعهد العالي لأصول الدين جامعة الزيتونة، تونس، تونس

Druze's Attitudes Towards the Others

Salah Ghodbani*
Department of Fundamentals of Religion, Higher Institute of Fundamentals of Religion, Ez-Zitouna University, Tunis, Tunisia

*Corresponding author	salah.ghodbani@yahoo.fr	*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 14-02-2024	**تاريخ القبول:** 04-02-2024	**تاريخ الاستلام:** 17-12-2023

الملخص
تعتبر الطائفة الدرزية التي لا زالت لم تنقرض، رغم بُعد زمن انتشارها عن مؤسسيها، كما تُعدّ من الفرق التي أحكمت الانغلاق على نفسها، ولعل هذا من الأسباب التي ساهمت في بقائها إلى الآن. كما أن هذه الفرقة، تخالف أهل الأرض جميعهم فيما يؤمنون به، حيث يعتبرون أنفسهم أصحاب العقيدة الوحيدة الصحيحة، دون سواهم من أصحاب الفرق والطوائف. واعتقدوا أنهم أصحاب الحقيقة دون غيرهم، فهم يسيرون وفق تعاليمهم دون سائر أصحاب الملل والنحل.
الهدف الرئيسي من هذا البحث هو كشف نظرة الدروز إلى الآخر سواء كان هذا الآخر ديناً أو عقيدة أو كتاباً مقدساً أو بشراً مقارنةً مع ما يؤمنون به ويعتقدونه.

الكلمات المفتاحية: موقف فرقة، الدروز، الآخر.

Abstract
The Druze sect has not yet become extinct, despite the long period of its spread from its founders. It is also considered one of the sects that has tightly closed itself off, and perhaps this is one of the reasons that has contributed to its survival until now. Also, this sect differs from all the people of the earth in what they believe, as they consider themselves the owners of the only correct belief, to the exclusion of other groups and sects. They believed that they were the owners of the truth and not others, and they followed their teachings without other sects and sects.
The main goal of this research is to reveal the Druze view of the other, whether this other is a religion, belief, holy book, or human beings, compared to what they believe and believe.

Keywords: group position, Druze, others.

مقدمة:
يشكّل فهم مُصطلحات الفِرق الباطنية مدخلاً حصرياً لفهم العقائد التي تنبع منها، والأهداف التي ترنو إليها، وإنّك في سبرك لرسائل الحكمة الدّرزية، لتجد من الإبهام والألغاز ما يضطرّك أن تقف للبحث عن حقيقة المعنى، الذي يُناقض في كثير من الأحيان ظاهر المبنى، وهذا نهج دأبت عليه الفرق الباطنية، إخفاءً

لدينها، وصيانةً لمتديّنيها، إذ لا يتصوّر عاقل أن يحوي دين ما يحويه دين الدّروز، من شتم للرُّسل والأنبياء وتكفيرهم ووصفهم بأقذع الألفاظ وأشد العبارات، واعتبار أتباعهم من الكفرة الضالين وتوعدهم بالذبح في الآخرة يوم قدوم حمزة بن علي الزوزني، واسترقاقهم وإذلالهم. ثم تجدهم مع هذا يعيشون بين أصحاب هذه الشرائع السماوية بسلام وطمأنينة، فلا تفسير لذلك سوى أنهم يمارسون "التقية" على درجة عالية من الاحتراف غير مسبوقة. كما أن بقاء هذه العقيدة سارية في عدد محدود من الناس، يتوارثونها جيلا عن جيل وكابرا عن كابر من الأسئلة المحيّرة، إضافة لعدم فتح باب الدعوة واقتصارهم على من كان درزيا من زمن الحاكم بأمر الله، واقفالهم لباب الدعوة منذ زمن علي بن أحمد السموقي (434هـ/1042م)، ولكن بعد البحث والتتبع تبيّن أنّ اخفاءهم لموروثهم المادي واللامادي، وتكتّمهم المطبق عبر العصور، هو من ضمن أبرز الأسباب، التي ساهمت في عدم اندثار هذه العقيدة. كما أن تسترهم بالدين الإسلامي واظهارهم أنهم يدينون به، وأنهم أصحاب منهج عرفاني إسلامي، شأنهم شأن بقية الفرق الإسلامية، وهو ما جعل الكثيرين حتى ممّن يدينون بالإسلام يصدقونهم، وتنطلي عليهم حيلهم، خاصة بعد إظهار الدروز عكس ما يخفون في مناسبات عديدة، مما صعّب تمييزهم عن غيرهم، وفتح لهم المجال للبقاء وعدم الاندثار.

وسوف أقتصر في هذا الصدد، على ذكر موقف الدروز من الشرائع السماوية ومن الرسل أصحاب هذه الشرائع، مع التعريج على المؤمنين بهؤلاء الرسل، كما ألتزم بأن لا أورد أي معلومة إلا ومعها الدليل من كتابهم المقدس.

إشكالية البحث

سوف أعمل على الإجابة على هذه الأسئلة، لكشف جانب مما درج الدروز على اخفاءه، ومن أجل التأسيس لفهم علمي لعقيدة الدروز التي يدَّعون أنها مستمدَّة من الإسلام، حيث يرون أنها منهج عرفاني انتهجوه على غرار بقية الفرق التي تنتسب للإسلام.

فمن هم الدروز؟ ماهي نظرتهم للشرائع السماوية والوضعية؟

وما موقفهم من أصحابها؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه دراسة علمية، تحاول أن تكشف جانبا من عقيدة الدروز التي لا يكاد يعرفها إلا المهتمون بدراسة العقائد أو أبناء الطائفة، خاصة وأن أبناء هذه الفرقة يعيشون بيننا، ويتكلّمون لغتنا، ويُظهرون أنهم يشاركوننا في الدين والايمان، كما يدَّعون أنهم يؤمنون بما يؤمن به المسلمون، في حين لما نطلع على كتبهم، أو نتعرف إلى أحد منهم قد تمرّد على دين الآباء والأجداد، وخاصة ممن كان له شأن في الطائفة، فيخبرنا بطامات خطيرة، وبأمور عجيبة لا تكاد تصدَّق. وقد ساهم تسرب كتبهم ووصولها إلى القراء في كشف كثير من الأسرار التي كان ولا زال الدروز يخفونها وينكرون نسبتها إليهم، في حين هي مثبتة في كتابهم المقدس (رسائل الحكمة) ويعرفها المتدينون ويتداولونها بينهم على ألا يعرفها غير هذه الطبقة.

كما رمت تسليط الضوء على نظرة الدروز وموقفهم من بقية البشر، ونظرتهم إلى الشرائع السماوية والوضعية، وإلى الأنبياء والمرسلين والكتب المقدسة السماوية منها والوضعية. دون أن أنسى التعريج على رأيهم في عقيدتهم ورجالاتهم، وأدلتهم على ما ذهبوا إليه.

أهداف البحث.

- التعريف بطائفة الدروز.
- التعرض لإيضاح عقيدتهم.
- الكشف عن نظرتهم إلى الآخر سواء كان هذا الآخر ديناً أو رسولاً أو كتاب مقدساً...

خطة البحث:
يعتبر هذا البحث دراسة وصفية لما يؤمن به الدروز من عقائد، فكان لزاماً عليّ أن:
- أعرّف بالدروز ونشأتهم،
- أتطرق إلى موقفهم من الآخر سواء كان هذا الآخر ديناً او نبياً او كتابًا مقدسًا.

ظهور طائفة الدروز:
ظهر الدروز في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي[(1)] ، الذي سرعان ما قُتل سنة 410هـ وواصل حمزة بن علي الزوزني [(2)] الدعوة وأرسى تعاليم هذا "الدين الجديد "وأطلق على كتابه المقدس "رسائل الحكمة"[(3)]،وقد بدأ الإعداد لظهور هذه العقيدة الجديدة منذ 400هـ، على يد حمزة بن علي الزوزني ونشتكين الدرزي[(4)] لذي تعجّل وأعلن ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 407هـ، فقام الحاكم بأمر الله بحمايته من بطش حمزة بن علي الزوزني ومدّه بالمال، وأشار عليه بالانتقال إلى وادي تيم الله[(5)]، وأبعده عن خطر ملاحقة الشعب المصري الذي ثار على خلفية "دعوى الألوهية "ليعيد حمزة بن علي إعلان ألوهية الحاكم سنة 408هـ، ثم انقطعت الدعوة سنة 409هـ لتُستأنف سنة 410هـ وقد عَدّ حمزة سنة 409هـ سنة إعادة ترتيب الصفوف وتنظيمها، وتهيئة الأجواء لانطلاق الدعوة الدرزية، بعد أن ثار الشعب المصري عليهم، لمَا كان في دعوته من مخالفة لما عهدوه، لأنه ادعى ألوهية الحاكم، مما أغضب عليه المصريين، فاضطر للاختفاء سنة 409هـ واعتبار هذه السنة (... سنة المحنة والامتحان والعذاب وأن يمتحن الخلق بغيبته، والمحنة هي غيابه الذي عاقبهم به...) [(6)]

وقد عُدّ هذا الانقطاع، خطة من مؤسّس دين التوحيد حمزة بن علي الزوزني، لإعادة تنظيم الصفوف، وتدبر أمر الدعوة الجديدة، وتفادي حدوث كارثة بعد الغضب الشعبي الذي وقع سنة 408هـ، عندما أعلنوا ألوهية الحاكم بأمر الله (...في سنة 409هـ هدأ نشاط الدعوة، وغابوا على مسرح الأحداث، وراحوا يعيدون النظر في تنظيم صفوفهم، ويعدّون الدعاة والمعاونين ويعالجون رسائل جديدة، ويختلفون بالحاكم

---

1 - الحاكم بأمر الله الفاطمي: هو المنصور بن نزار (العزيز بالله) بن معدّ (المعز لدين الله) بن إسماعيل (المنصور بالله) ابن محمد (القائم بأمر الله) وقد ولد في القصر الخلافي بالقاهرة ليلة الخميس 23 ربيع الأول سنة 375 هـ/985م.نصبه والده ولاية العهد وهو في الثامنة من عمره (شعبان 383هـ/993م). توفي والده 27 رمضان 386هـ/996م، أفضت الخلافة إليه وهو في سن الحادية عشر. ولم يباشر الحكم بنفسه، بل قام بالوصاية عليه ثلاثة من كبار المتنفذين في الدولة (محمد بن النعمان قاضي القضاة، والحسن بن بن عمار زعيم كتامة، وبرجوان الصقلبي الذي ظل يرعاه في القصر الخلافي ويحميه وكان أبوه قد عهد إليهم بتربيته وخدمته وتهيئته للحكم) انفرد بالحكم سنة 390هـ/999م وأنهى فترة الوصاية عليه. يوسف سليم الدبيسي، أهل التوحيد الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية، ص 258 (بتصرف)

2 - حمزة بن علي بن أحمد الفارسي الزوزني، ولد بمدينة زوزن في خرسان من بلاد فارس سنة 375هـ مساء الخميس 23 ربيع الأول سنة 375هـ/985م ...وفي العشرين من عمره وفي السنة العاشرة من خلافة الحاكم جاء مصر وتبع =الحاكم وصار يلقب بالفاطمي بعدما كان الزوزني ... بظهور حمزة بن علي بن أحمد بدأت الدعوة التوحيدية وبها بدأ تأريخ من يسمون اليوم" الدروز" سنة 408 هـ... عبد الله النجار، مذهب الموحدين الدروز، ص 178-179

3 - هي الكتاب المقدس عند الدروز مكون من 111 رسالة تتفاوت هذه الرسائل من حيث الطول وتحوي خمس وسبعين رسالة غير مؤرخة، وست وثلاثين رسالة مؤرخة، مجموعة في ست كتب (أجزاء).

4 - محمد بن إسماعيل نشتكين الدرزي، أحد أصحاب الدعوة لتأليه الحاكم بأمر الله العُبيدي وإليه تنسب الطائفة الدرزية، قدم مصر ...وكان من الباطنية القائلين بتناسخ الأرواح، ذكر أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأن روح علي انتقلت إلى أبي الحاكم ثم انتقلت إلى الحاكم قيل أن لأصله فارسي وقيل تركي وقد اختلف في سنة مقتله....) للشيخ محمد سليم الآمدي، حل الرموز في عقائد الدروز ص115)

2 - وادي تيم الله: يقع هذا الوادي على السفوح الشرقية لجبل الشيخ، في جنوب غرب لبنان وقد سمي هذا الوادي بذلك الاسم نسبة إلى قبائل تنسب إلى تيم الله بن ثعلبة، وهي قبائل يمنية الأصل هاجرت من الجزيرة العربية في الجاهلية وسكنوا الفرات، وفي عهد الفتوحات الإسلامية استقرت بعض بطونهم في هذا الوادي الذي سموه باسمهم وفي هذا الوادي نشأ مذهب الدروز. الدكتور أبو خليل شوقي أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية دار الفكر، ص118.

3 - النجار عبد الله "مذهب الموحدين الدروز، ص 168.

ليتداركوا الأمور الصعبة والأحوال المستعصية) [7] ثم عاد حمزة بن علي وأصحابه ومعاونوه للدعوة والنشاط من جديد سنة 410هـ.

أما أصل طائفة الدروز، فهي ترجع بالأساس إلى فرقة الإسماعيلية، التي بدورها انقسمت عن فرقة الشيعة الأم، بعد أن وقع خلاف فيمن يخلف الامام جعفر الصادق رضي الله عنه، وقد كان أوصى بالخلافة لابنه إسماعيل الذي توفي قبل وفاة أبيه، فاختلفوا فيمن يخلفه، أبنه محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق على اعتبار أن الخلافة لا تنتقل من أخ إلى أخيه؟ أم أن الحَقيقَ بالخلافة في هذه الحالة هو موسى الكاظم؟ فانقسموا إلى فرقتين كل واحدة تؤيد من آمنت بوجاهة رأييها الذي تراه وتؤمن به واتبعته. وقد كان هذا الانقسام الأول الذي وقع في البيت الشيعي، ثم توالت الانقسامات بعده تتْرا. (...فأقرّ الأتباع لولاية ابنه إسماعيل وعُرفوا باسم الإسماعيليّة، نسبة إلى إسماعيل، واتّبع الباقون من الشّيعة ابنه موسى الكاظم)[8] مما يجب أن أنبّه إليه أن هذا الانقسام قد وقع بعد وفاة الإمام جعفر الصادق سنة 148هـ، حيث انقسموا إلى اسماعيلية، وهم الذين يرون في إسماعيل إماما للمسلمين ومن بعده ابنه محمد، في حين يعتقد الشيعة الاثني عشرية[9] أن الامام بعد جعفر الصادق ابنه موسى الكاظم.

وقد وقع انشقاق آخر في الإسماعيلية وكان على يد الفاطميين الذين أسسوا دولة لهم في المهدية[10] وقد عبر أحد الكتاب الدروز على هذا التشظي الذي ألمّ بالشيعة عند اختلافهم فقال: (نجد أنّ الإسماعيليّة انبثقت من الشّيعة، الّتي تدعو لعليّ بن أبي طالبٍ بالإمامة وأبناءه من بعده إلى يوم الدّين، وقد اختصّت هذه الفِرقة بإسماعيل بن جعفر الصّادق، وهو من بني عليّ وإليه انتسب، ثمّ من الإسماعيليّة انشقّت الفاطميّة الّتي استمرّت على الدّعوة الإسماعيليّة حتّى الإمام الحاكم بأمر الله، الخليفة السّادس، حيث أسّس مذهب التّوحيد، وبذلك يكون مذهب التّوحيد فرعاً من الإسماعيليّة، وهي بدورها فرع من الشّيعة) [11]

كما أقر جلّ مثقفي الدروز بأن انقساما عظيما هزّ البيت الشيعي، ومن بعده فرقة الإسماعيلية، التي هي بدورها شهدت انقسامات كثيرة وولاءات عديدة وقد ورد: (استمرّ الإسماعيليّون والموحّدون في ولائهم لذرّية إسماعيل لغاية الإمام الحاكم بأمر الله، حيث توقّف عند الموحّدون (الدّرُوز)، واستمرّ إخوانهم الإسماعيليّون بإقرارهم بولاية علي الظّاهر وذرّيته) [12]

من هو الآخر؟

يعتقد المسلمون أن مضمون جميع الشرائع السماوية قد اجتمعت في دين واحد وهو الإسلام، مع اختلاف الشرع والمنهاج أحيانا بينها، وبقاء التوحيد لله الواحد. وتُشكّل الفرق الإسلامية روافد تنهل من منبع القرآن، وإن اختلفت في بعض التّأويلات والتفاسير، فإنّك إذ تنظر للفرق والأديان والأمم تجد أن الدّروز يُعتبرونهم فرقَ ضلال وكفر وفساد في الارض، وستلاحظ أن دائرة تكفيرهم تشمل فرق الأرض قاطبة وأديانهم ومعتقداتهم وأنبيائهم، لا يُستثنى من ذلك دين سماوي أو دين أرضي ولا فرقة تؤمن بالفلسفة أو المنطق وغيرها. لذلك نجد حمزة بن علي الزوزني يحرّض أتباع على التصدي لأئمة الكفر ومقاتلتهم باعتبارهم أصحاب رسائل تلحيدية، في مقابل شريعة التوحيد الدرزية، فقال: (وقاتلوا أيمه الكُفر، أنّهم لا

7 - ياسين أنور والسيد وائل وسيف الله بهاء الدين "بين العقل والنبي "بين العقل والنبي، ص 175.

8 - نصر مرسل، الموحدون الدروز في الإسلام، الدار الإسلامية، ص32.

9 - **الشّيعة الاثني عشريّة**: صِفة تُطلق على الشّيعة الاماميّة، القائلة باثنيْ عشر إماماً معروفون بأسمائهم، فبعد مقتل علي بن أبي طالب انتقلت الإمامة إلى ابنه الحسَن، ثمّ الحُسين، ثمّ إلى علي زين العابدين بن الحُسين، ثمّ إلى محمد الباقر بن علي زين العابدين، ثمّ إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر، ثمّ موسى الكاظم، فعليّ الرّضا، وبعده محمد الجواد، فالهادي، فالحسن العسكري، ثمّ انتقلت الخلافة بالوصيّة إلى ولده محمد بن الحسن، وهو المهدي المُنتظر، الذّي اختفى بعد موت أبيه، والذّي سيأتي ليملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلِئت جُوراً وظلما. " هشي سليم حسن ، في الإسماعيليين والدروز"، ص 14.

10 - **المهدية**: بالفتح ثم السكون، في موضعين إحداهما بإفريقية والأخرى اختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلا في المغرب الأقصى. (والمقصود هنا هي مدينة المهدية بتونس) (الحموي ياقوت، معجم البلدان، ص229)

11 - الأسعد أسعد، كشف الستار، ص50.

12 - نصر مرسل، الموحدون الدروز في الإسلام، الدار الإسلامية، ص32.

إيمان لهم، لعلّم ينتهون، وهم رُؤساء الشّريعة النّاموسيّة) [13]. ومَن يطّلع على الميثاق يبرز له هذا المعنى جليّاً، وقد جاء فيه: (وأنّه قد تبرّأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كُلّها) [14] وتأكيداً لعلوّ كعب "أمة" الدروز واستعلائها على باقي الأمم، وغرس هذه الفكرة في نفوس أتباعها من قبل مؤسسيها، بأنهم أشرف الأمم، وخير من داس الأرض بقدم، واعتبار أنفسهم أهل الحق وغيرهم أهل الضلال. لذلك يصبّ الدروز على الجميع أنواع السب والشتم وكل الأوصاف الدنيئة.

ويعتبر الدروز أنفسهم أهل العقيدة الصحيحة، وغيرهم أهل الكفر والفساد. وعرّفوا كل من عبد الله، وآمن به، من أصحاب الديانات السماوية، الذين يدعون إلى عبادة إله لا يرى ولا يسمع له صوت، أنهم يعبدون العدم، في حين يتباهون بعبادتهم لإله معروف وظاهر ومحسوس وهو الحاكم بأمر الله. ويرون أن الطقوس الدينية التي جاء بها الأنبياء هي طقوس تلحيدية في حين يتبع الدروز نصوصا ثابتة معروفة المصدر، ويصطلحون على تعريفها بأنها تعاليم توحيدية.

كما يعتقد الدروز أن أصحاب الديانات السماوية قد أبطل كل منهم رسالة من جاء قبله، ويرون أن هذا دليل واضح أنهم يكذّبون بعضهم البعض، وهم يُومؤون إلى أنهم كذبة، باعتبار أن أصل الرسالة واحد، فكيف يناقض كل نبي من جاء قبله، رغم وحدة المصدر وهذا حسب رأيهم كفيل بتكذيبهم ودليل على عدم صدقهم.

أما الأخطر في اعتقاد الدروز، أنهم يرون وجود هذه الشرائع هو السبب الرئيسي لعدم التمكين لدعوة ودين الدروز، لذلك لابدّ من العمل على ابطال هذه العقائد، تمهيدا لظهور الدين الحق، باعتبار أنّ الحق والباطل لا يجتمعان معا. لذلك لابد من السعي لنسف هذه النواميس التلحيدية، لتحل بدلا منها شريعة الحاكم بأمر الله التوحيدية.

كما درجوا على تسمية غير الدرزي بـ " المخالف" أو "الضد" أو " الآخر" وهي مصطلحات تخفي وراءها حقدا وعنصرية كبيرين، فأصحاب الشرائع السماوية أو الوضعية والأجناس والألوان كلهم "ضد" ما عدا من دان للحاكم بأمر الله بالعبودية وسار على نهجه. كما تفنّن الدروز في شتم وسبّ كل الأنبياء واتباعهم وأصحابهم وكتبهم، وأهل الأرض قاطبة ما عدى الدروز.

تجدر الإشارة إلى أن هذا الاعتقاد نابع من فكرة أن الدروز هم سادة العالم قديما وحديثا، وأن البشر خلقوا خدما وحشما للدروز باعتبار أن الدروز هم أفضل من مشى على الأرض، وهم أصحاب الدين الوحيد الذي وجد على البسيطة، وفي هذا الصدد يقول كمال جنبلاط وقد نقله عنه مباشرة مصطفى الشكعة في حديث دار بينهما: (... يرجعُ تاريخ الدّروز إلى ثلاثمائة وثلاث وأربعين مليوناً من السّنين، حين كانت الأرواح بلا أجسادٍ...) [15] فالدروز يعتبرون أنفسهم أصحاب الدين الحق الذي ارتضاه الحاكم بأمر الله دينا للخليقة وليس قبله ولا بعده دين أبدا. وإني لاعتقد أن في هذا الكلام غمز ولمز بدين الإسلام الذي يعتبره المسلمين دين الخليقة باعتبار كل الأنبياء قد جاؤوا به، بدأ بآدم عليه السلام وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم. كما أن إيمان الدروز بالتقمص يعزز فكرتهم أنهم أصحاب الدّين الحق وورثته دون غيرهم من أصحاب الشرائع التلحيدية.

موقف الدروز من الشرائع السماوية والوضعية.

يعدّ كل ما سلف ذكره انطلاقًا للدعوة، وتاريخًا لإعلانها حقيقة، حسب كُتّاب التاريخ في مدوناتهم، إلا أن كتب الدروز "المقدسة" وتصريحات المتدينين يُرجعون ظهور الطائفة إلى بداية الخلق، وأنهم أول

---

13 - رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين، رقم 17.
14 - ميثاق ولي الزمان، عدد 5، ص،48.
15 - الشكعة مصطفى "إسلام بلا مذاهب"، ص 313.

وآخر شريعة وجدت على وجه الأرض، لذلك ذكر كمال جنبلاط في معرض حديثه عن تاريخ الدروز حيث قال (ذلك أنّ هناكَ ثمّة مَهابة أو وقار الباطنيّة الدّرزيّة، الّتي تختلط فيها الحِكمة بالواقعيّة، فنحنُ شعبٌ ترجع عراقته إلى خمسة آلاف سنة من التّاريخ...) [16]

وقد استمد رأيه هذا مما ورد في رسائل الحكمة حيث ورد (... وسنذكر لكم في غير هذا الكتاب أسماء مولانا سبحانه (الحاكم بأمر الله) التي سمى بها ناسوته وتظاهر به للعالم من وقت إبداعه العقل الكلي، إلى حين ظهور آدم الصفا، وسجود الملائكة له، وهو تمام سبعين دورا بين كل دور ودور سبعون أسبوعا وبين كل أسبوع وأسبوع سبعون عاما والعام ألف سنة مما تعدون...) [17]

وعليه فإن الدين الدرزي هو أصل الأديان، وأولها وآخرها، ولا وجود لدين غير دين الدروز، فهو إذن دين الخليقة، وقد ورد في رسائل الحكمة ما يدل على ذلك حيث يقول الحدّ الخامس المقتنى بهاء الدين: (وهذه الفرق من الأمم فهم: "النصرانية والمُسلمية واليهودية والمجوسية أعني الإبراهيمية الحشوية، ومن المذاهب كالنّصيرية والقطعيّة وأصحاب إسحق الأحمر وهم الحمراوية، والشمطية والكيسانية والجارودية والزيدية والموسوية والكشكاوية، وجميع ما لم نسميه، فقد بطلت دعاويهم لأنها تمويهات على الأمم، وغير جائز إلا على أشباه البقر والغنم...) [18] .

ويخص حمزة بن علي أصحابَ الشرائع والكتب السماوية وأنبياء الضلال وأتباعهم، ومن آمن بهم، بصفتهم (الآخر) ليخاطبهم بما ورد في كتبهم ليبيّن لهم عُوار دينهم وعار معتقدهم. فيقول حمزة بن علي:(فأقرّ لي بالإمامة كما أقررت في الأول، حتى تخاطب أصحاب الزبور من زبورهم، وأصحاب التوراة من توراتهم، وأصحاب القرآن من التنزيل، وأصحاب الباطن من نفس التأويل) [19].

ولا يقتصر حمزة على ذلك فحسب رغم إيلائه أهمية كبيرة لإبطال جميع الأديان وتكذيب المرسلين، بل إن "الآخر" يشمل أيضا أصحاب المذاهب الفلسفية والفكرية وكل اعتقادات أهل الأرض قاطبة، لأن رسالته عالمية، فقد جاء لجميع العالم، وكأنّي به يحاكي عالمية الدعوة الإسلامية لدحضها وينسب عالميتها للدين الدرزي باعتباره قد خاطب الأرواح قبل أن تكون أجسادا، ولم يكن لدين محمد صلى الله عليه وسلم ذكر. وفي هذا الصدد يقول حمزة بن علي في مخاطبته لكل الخلق: (وأصحاب المنطق من الأفاق والأفلاك والدلائل العقلية ومن أنفسهم)[20].

أمّا السبب لخطاب أصحاب الشرائع والأديان السماوية والفرق الباطنية والمذاهب الفكرية والجماعات الفلسفيّة، فيشرحه حمزة بقوله:(حتّى يتبيّن لكلّ واحد منهم عوار ما في يده من دينه) [21]

ثمّ ماذا؟ وماذا نعبد ؟يضيف حمزة:(وتصح عبادة مولانا[22] جلّ ذكره وتوحيده، والبراءة من إبليس وحزبه23)[24]

أمّا السبب في تميّز الدّروز عن أهل الملل والنحل، ومرتبتهم العالية في التوحيد، هو أنهم عبدوا الله تعالى ظاهراً متجسداً موجوداً بشخص الحاكم. في حين باقي الأديان عبدوا إلهاً غيبياً عدماً، لا يُرى عياناً، فلذلك استحقّوا شرف التوحيد، ونال الآخرون ذلّ التلحيد، فيقول حمزة بن علي:(فأنتم أفضل الأُمم، وخير

---

16 - جنبلاط كمال، هذه وصيتي، ص48.
17 - الرسالة الموسومة بكشف الحقائق" 134/13.
18 - رسالة السفر إلى السادة، 68 /545- 546.
19 - الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم 182/16
20 - الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم 16/ 172
21 - ياسين أنور والسيد وائل وسيف الله بهاء الدين "بين العقل والنبي"، ص 172
22 - مولانا: هو المنصور، الحاكم بأمر الله الفاطمي وحيث ما وردت كلمة مولانا على لسان حمزة فمعناها الحاكم الفاطمي
23 - إبليس وحزبه هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه.
24 - الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم 172/16.

من وطئ الأرض بقدم، لأنكم عبدتم الموجود، وانعكفوا على عبادة العدم المفقود)[25] وقد تجلى الإله عشر مرات آخرها مع الحاكم بأمر الله.

وهذه الصورة العاشرة التي تجلّى بها الله تعالى وفَقِهها الدّروز وعَمي عنها الخليقة أجمعين، (...وظهر المولى جلّ ذكره في صورة اسماها المُعِلّ وكان ظهوره جل وعز بديار تدمر[26] وديار الشرق في زي تاجر... وَظهور مولانا الحاكم سبحانه بين أيديهم ظاهراً مكشوفاً)[27].

مّا بالنسبة لأولي العزم من الأنبياء أصحاب الشرائع، وهم "نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات ربّي عليهم جميعا) فتصفهم كتب الحكمة بأنهم نطقاء كاذبون ضالون مضلّون، وأن شرائعهم شرائع شركية، وأنهم دعوْا للتّلحيد وعبادة العدم، وأنهم وأتباعهم سيكون مصيرهم إلى العذاب المهين، على يد الأمة الوارثة للأرض وهم الدّروز، كما يهاجمهم الدروز بشدة ويصفونهم بأقذع الألفاظ، لأنهم أضلوا الخلائق أجمعين، وزعموا منزلة ليست لهم، ولم يكن لهم هدف إلا الفوز بالدنيا، ورفضوا توحيد الباري المتجسد بالأشخاص، ودعوا إلى توحيد العدم، إله لا تراه الأعين بالدنيا، ولا تسمعه الأذان، ومع ذلك يوجبون أن يؤمن العقل بما لا تدركه الحواس، وسنّوا السنن لتثبت زعمهم بالنبوة، وقاتل كل نبي منهم الأنبياء قبله ونقض شريعتهم، تقول العقيدة: (فأما العِلْمان المتقدمان فهما علْمان[28] الدين أحدهما علم الباطن والآخر علم الظاهر وهما زوجان لا توحيد فيهما، ولا في عصر يظهران فيه بشرع، فأما العلم الأول فهو الظاهر وأصحابه النّطقاء، أولهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ولقد أُخرِجَ أدم من عدد[29] هؤلاء القوم ..غير أنهم كلهم كانوا يشيرون إلى توحيد العدم ولا يعرفوا المولى جلّ ذكره)[30].

وهؤلاء الخمسة دعاة التّلحيد، يقابلهم خمسة دعاة التوحيد وهو توحيد الله المتجسد بكل دور وكور، وبالصورة الحاكمية خاتمة الظهورات قبل يوم القيامة، وهؤلاء الخمسة هم حدود الحاكم أصحاب الدعوة الدرزية، فيقول حمزة بن علي :(فهذه خمسة أشخاص محمودة توحيدية، وجميع ما في القرآن من الأسماء تقع على هؤلاء الخمسة، غير أن الشيوخ ستروهم وجعلوا الأسماء لأصحاب الشرائع الشركية) (31).أي الأنبياء أولي العزم .

ويضيف (وأقاموا بإزاء الخمسة الروحانيين الذين هم حدود التوحيد، خمسة جسمانين حدود الناموس والتلحيد) [32]

وهؤلاء الأنبياء الخمسة حدود الشريعة الظاهرة، هم أشباح بلا أرواح، لأن الروح الحقيقة هي الإقرار بتوحيد الحاكم الفاطمي المتجسد فيه الله، وليس ذلك فحسب، بل القيام بعبادة الحاكم، وهؤلاء الأنبياء لم يقروا بذلك، لذا فهم مشركون كافرون ملحدون جاحدون،

يقول حمزة بن علي: (فهؤلاء الخمسة حدود الشريعة الظاهرة وهم أشباح بلا أرواح، لأن الروح الحقيقة هي الإقرار بتوحيد مولانا جلّ ذكره، والقيام بعبادته، وهم كلهم جاحدون لقدرته، كافرون بنعمته، مشركون بعبادته، جاهلون بأصول الدين والمعادن، ..غير عارفين بما هو كائن)[33].

---

[25] - الرسالة الموسومة بالأعذار والإنذار الشافية لقلوب أهل الحق من المرض والإحتيار، 34/ 249

[26] - مدينة في الشرق من الأراضي السورية تقع في محافظة حمص اليوم وبها آثار مشهورة

[27] - رسالة كتاب فيه تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون، 36 /266-267.

[28] - كذا والصواب علما الدين

[29] - كذا والصواب عِداد

[30] - رسالة كتاب فيه تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون 36 /261

[31] - رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين وهي الرسالة رقم 188/17.

[32] - رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين وهي الرسالة رقم 17/ 189

[33] - م. ن، رقم 190/17.

وهذا: [ما هو كائن] الذي يتحدث حمزة عنه فهو الجزاء المخيف، والعذاب العنيف، والنار والسيف، وقد ذكر هذا في مواضع عدة من الحكمة ومنها الرسالة نفسها اذ يقول:(غير عارفين بما هو كائن، من قتل المارقين وبيع ذراريهم في سوق مازن[34]، يوم لا ينطق فيه كاهن، ولا تنفعهم شفاعة مشرك خائن[35]، وترى المشركين مثل السُكارى وما بهم سُكر ولا خُمار، بل تذهل عقولهم من هيبة الملك الجبار، وما يدهمهم من السيف والدمار، وتجازى كل نفس بما كسبت وهم لا يُرحمون) [36]

أما بيان حمزة على صحة معتقده وصواب عبادته لإلهه الحاكم، وضلال الأنبياء وأهل الشرائع، فيسوقه في برهان ينتشي منه طرباً، ويعتبره من أعظم الحجج العقلية، والدلائل الواضحة الجلية، التي لا تقبل الشك أن الله تجسد بالصورة الإنسية، ودليله على الأمر يورده في نفس الرسالة فيقول:" والعاقل اللبيب لا يطلب العدم (الله)، ويترك الموجود (الحاكم الفاطمي)، لأن العدم تقع في أخباره الزيادة والنقصان، والموجود أنت تشاهده بالعقل والبرهان والعيان (...ومن أعظم الحجج العقلية المرئية، والدلائل الواضحة الرضية على تنزيه مولانا جل ذكره) [37]

أما بالسؤال هل يقبل من موحد آمن بظهور الله تعالى في أدواره الدنيوية العشرة، وبنبوة حمزة وحدود دعوته، أن يؤمن أيضاً بالرسل والرسالات السماوية، فتجيب العقيدة الدرزية:(فكل من ذكر عن نفسه أنه موحد وهو متمسك بشيء من الشرع فقد أبطل وكذب في قوله، بل هو ملحد كافر)[38].

وهذه القاعدة التوحيدية، يؤصلها الميثاق الذي هو المدخل الحصري للدخول إلى دين الدروز زمن الدعوى، فيشترط المستجيب على نفسه أنه (قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصنافها واختلافاتها، وأنه لا يعرف شيئا غير طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكره، والطاعة هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو ينتظر) [39]

فلا يصح إطلاق ختم الرسالة إلا على ما آمن به الدروز، إذ لا وجود لنبوة ولا ديانة غير التي آمنوا بها باعتبارها دين الخليقة، منذ فجر الوجود إلى أن يأذن الحاكم بأمر الله إلى حمزة بن علي بمحاسبة الخلائق ومجازاتهم على إيمانهم.

إن المتتبع للعقيدة الدرزية يقع في حيرة كبيرة عندما يطلع على كل ما سبق وغيره من معلومات تصل إلى حد التعارض مع العقل، إذ كيف استطاع مؤسسو هذه الطائفة ومن ثم أتباعها وهم في الظاهر _ وإلى يوم الناس هذا _ ينسبون أنفسهم للإسلام ويدعون الالتزام به دينا ينظم حياتهم، وهم في الحقيقة يؤمنون بما هو مسطور في رسائل الحكمة المقدسة عندهم، وهي محشوة بكل هذا السب والشتم والغيض والكره للأنبياء والرسل، وما جاؤوا به من رسائل وكتب رفضها الدروز ونسفوها واعتبروها ديانات تلحيد جاء بها أصحابها للتغطية على الرسالة الحق التي جاء بها الحاكم بأمر الله الفاطمي .

ولم يعرف التاريخ جماعة يخالف قولها فعلها وظاهر تدينها باطن دينها، وتنسب نفسها إلى دين الاسلام، وتسبه وتبدي مضمونا وتخفي معتقدا كحال طائفة الدروز. فقد عمد الحاكم بأمر الله الفاطمي وحمزة بن علي الزوزني مع حدود دعوتهم إلى إبطال الشرائع السماوية قاطبة وأعلوا عدم الاعتراف بها ولا بأنبيائها، بل وشتموهم وسبوهم وتبادلوا الأدوار بينهم، فغدا الحاكم بأمر الله الفاطمي ربا بدلا من الله تعالى وتقلّد حمزة بن علي الزوزني النبوّة بدلا من بقية الأنبياء عليهم السلام بداية من آدم عليه السلام

---

34 - سوق كان في مصر زمن الحاكم يُباع فيه الرقيق هكذا ورد بشرح الحكمة
35 - المقصود صاحب الشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم
36 - رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين. 190/17.
37 - رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين وهي الرسالة رقم 189/17.
38 - رسالة الشمعة، 38 /280
39 - ميثاق ولي الزمان" ،47/5 من كتاب الحكمة الأول، وهو الميثاق الذي يقرأه الدروز صباحا ومساء

وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم. واستبدل القران الكريم والإنجيل والتوراة وبقية كتب الشرائع السماوية برسائل الحكمة.

والأغرب من كل هذا، ادعاءهم وجوب إخفاء هذه الرسائل وعدم تمكين أي إنسان منها أو الاطلاع عليها، عملا بمقولة حمزة بن علي الزوزني (...وصونوا الحكمة عن غير أهلها...) [40] لذلك نجد الدروز يُحكمون إخفاءها رغم تسرّب نسخ منها على الشبكة العنكبوتية، ومع ذلك يواصلون تعنتهم أنها ليست هي رسائل الحكمة الحقيقية، بل هي رسائل مكذوبة ومختلقة منسوبة إليهم زورا وبهتانا، تهدف إلى تلبيس الأمر على الناس وخاصة أبناء الطائفة. ويقصد من ذلك التمادي في التعمية والإيهام والتشكيك باعتبار زمن إظهارها لم يحن بعد، مع أن الرسائل الموجودة على الأنترنات حقيقة ودقيقة لوصولها من طرق صحيحة ومتعددة وموثوق بها خاصة وقد تواتر ورودها من جهات مختلفة. [41] فلم يُلف فيها أي اختلاف.

وإني لا أرى جدوى من مكابرة الدروز، فالرجوع إلى الأصل فضيلة، وما عليهم إلا أن يذعنوا إلى الحق، ويفتحوا عقولهم وآذانهم إلى صوت الحق ويرجعوا إليه قبل فوات الأوان، لأن الرجوع إلى الحق أحق من التمادي في الباطل، وهم يعلمون ذلك. إلا أن المكابرة منعتهم من إتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما جاء به والتسليم له.

خاتمة

ومن العموم إلى الخصوص، نبحث في رموز العقيدة الدرزية، ونظرتهم للرسل والرسالات، وموقفهم من الأديان والكتب السماوية، وتفسيرهم للآيات والأحاديث. وتأويلاتهم مع الدلائل التي أوردتها.

- إن الباحث سيجد تناقضا جليا بين الرسائل، والتناقض أحيانا في الرسالة الواحدة، إضافة للأخطاء الإملائية والنحوية التي لا تعدّ، والغلط في نقل آيات القرآن، والأحاديث النبوية، والآثار المسيحية واليهودية، واختلاق الأسماء والوقائع التاريخية، والاستشهاد بالأحاديث المكذوبة، مما وقفت عليه وعاينته، مما يدل دلالة صريحة على أنها من صنع البشر.
- تراجع كبير في صفوف المعتقدين للديانة الدرزية، وقد اهتدى الكثير منهم، وخاصة الكفاءات العلمية، وكل يوم نسمع عن عدد محترم منهم قد اعتنق الإسلام، وبعضهم القليل قد خرج عن الدرزية إلى الإلحاد، وبعضهم الآخر تم استقطابه من المبشرين النصارى،
- وهذه في الحقيقة نتيجة حتمية للانغلاق والمكابرة التي يُلزم بها المتدينون أبناء الطائفة الدرزية.

---

40 - رسالة التحذير والتنبيه، 244/33.

2 - ما تم طباعته أثناء وبُعيد الحرب الأهلية التي عصفت بلبنان عندما تم الاستيلاء على بعض نسخ من رسائل الحكمة ومن أشخاص مختلفين ومتباعدين جغرافيا، فكانت كل النسخ المختلفة متفقة في مضمونها. كما أن ما تسرب من أبناء الطائفة الذين خرجوا عن دين الآباء والأجداد كان موافقا لما سبقه من النسخ.

- تناقض العلم الصحيح مع ما توارثوه كابرا عن كابر، فقد جاء العلم الحديث فاضحا لزيف جملة النظريات التي يؤمن بها الدروز، مثل التقمص، وعدم زيادة عدد البشر، من يوم النشأة الأولى، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهذه كلها قد تجاوزها المنطق العلمي، في حين لازال الدروز موقنون بها إيمانا لا يتزحزح ولا يتغير.

اقتراحات وتوصيات:

- أقترح إقامة ندوات علمية، وملتقيات دوليه، تحت إشراف الجامعات ذات الصلة بموضوع فرقة الدروز، يؤثثها علماء في الفرق والطوائف لدراسة هذه الطائفة دراسة علمية دقيقة، ويحضرها علماء الطائفة ويأخذ هذا الموضوع حظه من البحث والنقاش.
- أرجو من جميع الجامعات في عالمنا العربي والإسلامي إيلاء طائفة الدروز حيزا مهما في دراساتهم، وتوجيه طلبة العلم إلى هذا الموضوع البكر الذي لازال يكتنفه الغموض، وذلك من أجل معرفة الحقيقة وإثراء الساحة العلمية بدراسات مهمّة، تقدم معلومات علمية دقيقة عن هذه الطائفة وغيرها.
- كما أطلب من الدروز أن ينفتحوا على أبناء الطائفة أولا، ويسمحوا لهم بالاطلاع على موروثهم الذي توارثوه جيلا عن جيل، ولا يحرموا غيرهم من غير أبناء الطائفة من معرفة دينهم وعقيدتهم وتسهيل الوصول إلى المعلومة، حتى يتمكن الباحثون من تدوين الحقيقة والدفاع عن الطائفة.
- كما ألتمس من المتدينين من أبناء الطائفة التعامل بلطف مع المخالف، سواء كان من أبناء الطائفة أو من غيرهم من طلاب الحقيقة، وفتح باب النقاش والسؤال وفسح المجال لهم لمعرفة كتبهم وامتلاكها وتدارسها وطباعتها والاعتراف بنسبتها إليهم.
- وإني اطلب بإلحاح من بيت الطائفة الدرزية طباعة كتاب " رسائل الحكمة" الذي يدّعي الكثيرون أنّه موجود على الأنترانت، ويدعي بعضهم أنه يمتلك نسخة منه، إلا أن رجالات الطائفة ينفون صحّة ما هو موجود ومعروض سواء على الشبكة العنكبوتية، أو ما يدّعي بعضهم امتلاك نسخة من الكتاب المقدس لديهم.

كما ألتمس منهم فكّ الحصار عن بقية كتب الطائفة الموجودة في عندهم وتوارثوها كابرا عن كابر، إثراء للمعرفة، تسهيلا للوصول إلى المعلومة من مصادرها الصحيحة والحقيقية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو خليل شوقي، أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية، دمشق سوريا، دار الفكر(دون تاريخ طبع).
2. الأسعد نسيب أسعد، كشف الستار، دمشق، سوريا، دار رسلان، (2010).
3. الآمدي محمد سليم، حل الرموز في عقائد الدروز، دار النصيحة المدينة المنورة، (2014).
4. جنبلاط كمال، هذه وصيتي (1978).
5. الحموي ياقوت، معجم البلدان، بيروت، دار صادر (1988).
6. الدبيسي يوسف سليم، أهل التوحيد الدروز وخصائص مذهبهم الدينية والاجتماعية (1992)، دون ذكر دار النشر.
7. الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم. (بلا تاريخ).
8. الرسالة الموسومة بكشف الحقائق. (بلا تاريخ).
9. الرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار الشافية لقلوب أهل الحق من المرض والإحتيار. (بلا تاريخ).
10. رسالة التحذير والتنبيه. (بلا تاريخ).
11. رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين. (بلا تاريخ).
12. رسالة التنزيه إلى جماعة الموحدين وهي الرسالة. (بلا تاريخ).
13. رسالة الشمعة. (بلا تاريخ).

14. رسالة كتاب فيه تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون. (بلا تاريخ).
15. الشكعة مصطفى، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، مصر، (1996)
16. ميثاق ولي الزمان. (بلا تاريخ).
17. النجار عبد الله، مذهب الموحدين الدروز، دون ذكر دار النشر ولا تاريخ الطبع.
18. نصر مرسل، الموحدون الدروز في الإسلام، بيروت لبنان، الدار الإسلامية، (1996)
19. هشي سليم حسن. في الإسماعليين والدروز. بيروت، لبنان: منشورات دار لحد خاطر (1985).
20. ياسين أنور، السيد وائل، وسيف الله بهاء الدين، بين العقل والنبي، بيروت، لبنان، دار لأجل المعرفة ديار عقل لبنان. (1985)